

مفاتيح تدبر القرآن

عناصر الخطبة

مقدمة

علامات التدبر

مفاتيح التدبر

ثمرات تدبر القرآن الكريم

العناصر

مقدمة:

التدبر: حصول النَّظْرِ فِي الْأَمْرِ الْمُتَدَبَّرِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ. (١١)

ومعنى تدبر القرآن: هو التفكير والتأمل لآيات القرآن من أجل فهمه، وإدراك معانيه، وحكمه، والمراد منه.

وقد جاء الأمرُ بتدبرِ القرآنِ في أربعةِ مواضعٍ من القرآنِ، والعجيبُ أنَّ آيتينِ نزلتِ في سياقِ المنافقينَ، وهما قوله تعالى: {أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} [النساء: ٨٢]، وقوله تعالى: {أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد: ٢٤].

وجاءت آيتانِ في سياقِ الكفارِ، وهما قوله تعالى: {أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ} [المؤمنون: ٦٨]، وقوله تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} [ص: ٢٩].

وتحتملُ آيةُ سورةِ ((ص)) أن يكون المؤمنونَ داخلونَ في الأمرِ بالتدبرِ، ويشهدُ له قراءةُ من قرأ: {لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ} بالتاء، بمعنى: لتتدبره أنت يا محمد وأتباعك.

وليس نزولُ الآيةِ في سياقِ غيرِ المؤمنينَ يعني أنَّ المؤمنينَ لا يُطلبُ منهم التدبرُ، بل هم مأمورونَ به، وداخلونَ في الخطابِ من بابِ أولى، لأنَّهم أهلُ الانتفاعِ بتدبرِ القرآنِ. وإنَّما المرادُ هنا بيانُ من نزلتِ بشأنه الآياتُ، دون بيانِ صحَّةِ دخولِ المؤمنينَ في الخطابِ، والله أعلمُ. [١٢١]

علامات التدبر

ذكر الله تعالى في كتابه الكريم علامات وصف حقيقة تدبر القرآن وتوضحه بجلاء من ذلك:

{وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} [(١٢٤) سورة التوبة]، {قُلْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ

إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِن كَان وَعَدُّ رَبَّنَا لَمَفْعُولًا *
 وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا} [١٠٧-١٠٩: سورة الإسراء]، { إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ
 الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا} [٥٨) سورة مريم]، {وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا
 صُمًّا وَعَعْمِيَانًا} [٧٣) سورة الفرقان]، {وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا
 مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ} [٥٣) سورة القصص]، {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِي تَقْشَعِرُّ
 مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ
 يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ} [(٢٣) سورة الزمر].

فحصل من الآيات السابقة سبع علامات هي: ١- اجتماع القلب والفكر حين القراءة، ودليله
 التوقف تعجبا وتعظيما. ٢- البكاء من خشية الله. ٣- زيادة لخشوع. ٤- زيادة الإيمان، ودليله
 التكرار العفوي للآيات. ٥- الفرح والاستبشار. ٦-القشعريرة خوفا من الله تعالى ثم غلبة الرجاء
 والسكينة. ٧- السجود تعظيما لله عز وجل.

* إن مما يصرف كثيرا من المسلمين عن تدبر القرآن، والتفكر فيه، وتذكر ما فيه من المعاني
 العظيمة؛ اعتقادهم صعوبة فهم القرآن، وهذا خطأ في مفهوم تدبر القرآن، وانصراف عن الغاية
 التي من أجلها أنزل، فالقرآن كتاب تربية وتعليم، وكتاب هداية وبصائر لكل الناس، كتاب هدى
 ورحمة وبشرى للمؤمنين، كتاب قد يسر الله تعالى فهمه وتدبره، كما قال تعالى: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا
 الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَكِّرٍ} [(١٧) سورة القمر].

إن فهم الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، والعلم بالله واليوم الآخر؛ لا يشترط له فهم المصطلحات العلمية الدقيقة، من نحوية وبلاغية وأصولية وفقهية. فمعظم القرآن بيّن واضح ظاهر، يدرك معناه الصغير والكبير، والعالم والامي.

إن إغلاق عقولنا عن تدبر القرآن بحجة عدم معرفة تفسيره، والاكتفاء بقراءة ألفاظه مدخل من مداخل الشيطان على العبد ليصرفه عن الاهتداء به.

ونحن نؤمن ونصدق بقول الله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الحشر،] ونقرأ قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [سورة الزمر،] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزادتهم إيمانًا وهم يستبشرون﴾ [سورة التوبة].

فهذا هو القرآن، ونحن نقرؤه، ولكن ما أخبر الله تعالى عنه من تأثير فإننا لا نجد! فلماذا؟

القرآن هو القرآن، وقد وصل والحمد لله إلينا محفوظا تاما مصونا من الزيادة والنقص.

أين الخلل؟ وأين المشكلة؟

إن التلذذ بالقرآن لمن فتحت له أبوابه لا يعادله أي لذة أو متعة في هذه الحياة ولكن أكثر الناس لا يعلمون. [١٣]

الفرق بين التدبُّر والتأثُّر من سماع القرآن:

يخطئ بعضُ النَّاسِ بين التدبُّر والتأثُّر من سماع القرآن، فيجعلونَ القشعريرةَ التي تصيب الإنسان والخشوعَ الذي يلحقه بسبب تأثير القرآن عليه هو التدبُّر، وليس الأمرُ كذلك.

فالتدبُّرُ عمليَّةٌ عقليَّةٌ تحدثُ في الذَّهنِ، والتأثُّرُ انفعالٌ في الجوارحِ والقلبِ، وقد يكونُ بسببِ التدبُّرِ، وقد يكونُ بسببِ روعةِ القرآنِ ونظمه، وقد يكونُ بسببِ حالِ الشَّخصِ في تلكَ اللَّحظةِ [١٤]

قال ابن القيم: فليسَ شيءٌ أنفعَ للعبدِ في معاشِهِ وَمَعَادِهِ، وَأَقْرَبَ إِلَى نَجَاتِهِ مِنْ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ، وَإِطَالَةِ التَّأَمُّلِ فِيهِ، وَجَمْعِ الْفِكْرِ عَلَى مَعَانِي آيَاتِهِ، فَإِنَّهَا تُطَلِّعُ الْعَبْدَ عَلَى مَعَالِمِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ بِحَدَافِيرِهِمَا، وَعَلَى طُرُقَاتِهِمَا وَأَسْبَابِهِمَا وَغَايَاتِهِمَا وَثَمَرَاتِهِمَا، وَمَالَ أَهْلِهِمَا، وَتَنَلُّ فِي يَدِهِ مَفَاتِيحَ كُنُوزِ السَّعَادَةِ وَالْعُلُومِ النَّافِعَةِ، وَتُنَبِّتُ قَوَاعِدَ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ، وَتُشَيِّدُ بُنْيَانَهُ وَتُوَطِّدُ أَرْكَانَهُ، وَتُزَيِّدُهُ صُورَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ فِي قَلْبِهِ، وَتُحْضِرُهُ بَيْنَ الْأُمَمِ، وَتُزَيِّدُهُ أَيَّامَ اللَّهِ فِيهِمْ، وَتُبَصِّرُهُ مَوَاقِعَ الْعَيْبِ، وَتُشْهِدُهُ عَدْلَ اللَّهِ وَفَضْلَهُ، وَتُعَرِّفُهُ ذَاتَهُ، وَأَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالَهُ، وَمَا يُحِبُّهُ وَمَا يُبْغِضُهُ، وَصِرَاطَهُ الْمُوَصِّلَ إِلَيْهِ، وَمَا لِسَالِكِيهِ بَعْدَ الْوُصُولِ وَالْقُدُومِ عَلَيْهِ، وَقَوَاطِعَ الطَّرِيقِ وَأَفَاتِيهَا، وَتُعَرِّفُهُ النَّفْسَ وَصِفَاتَهَا، وَمُفْسِدَاتِ الْأَعْمَالِ وَمُصَحِّحَاتِهَا وَتُعَرِّفُهُ طَرِيقَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ

النَّارِ وَأَعْمَالَهُمْ، وَأَحْوَالَهُمْ وَسَيِّمَاهُمْ، وَمَرَاتِبَ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَأَهْلِ الشَّقَاوَةِ، وَأَقْسَامَ الْخَلْقِ وَاجْتِمَاعَهُمْ
فِيمَا يَجْتَمِعُونَ فِيهِ، وَأَفْتِرَاقَهُمْ فِيمَا يَفْتَرِقُونَ فِيهِ.

وَبِالْجُمْلَةِ تَعْرِفُهُ الرَّبَّ الْمَدْعُوَّ إِلَيْهِ، وَطَرِيقَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ، وَمَا لَهُ مِنَ الْكِرَامَةِ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِ. [٢٥]

مفاتيح التدبير [٢٦]

المفتاح الأول: حب القرآن

حب القلب للقرآن له علامات منها:

- ١-الفرح بلقائه. ٢- الجلوس معه أوقاتا طويلة دون ملل. ٣- الشوق إليه متى بعد العهد عنه وحال دون ذلك بعض الموانع، وتمني لقائه والتطلع إليه ومحاولة إزالة العقبات التي تحول دونه.
- ٤- كثرة مشاورته والنقطة بتوجيهاته والرجوع إليه فيما يشكل من أمور الحياة صغيرها وكبيرها.
- ٥- طاعته، أمرا ونهيًا.

قال ابن مسعود: لَأَسْأَلُ عَبْدًا عَنِ نَفْسِهِ إِلَّا الْقُرْآنَ فَإِنْ كَانَ يُحِبُّ الْقُرْآنَ وَيَعْجِبُهُ فَهُوَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ [٢٧]

ولا يكون ذلك إلا بالاستعانة بالله تعالى، وسؤاله سبحانه أن يرزقك (حب القرآن)

ومن ذلك الدعاء العظيم عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله: " مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أُمَّتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِّيتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْتَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِنْ أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا "، قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: " بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا " [١٨]

المفتاح الثاني: أهداف قراءة القرآن

وقراءة القرآن يجتمع فيها خمس مقاصد ونيات كلها عظيمة، وكل واحدة منها كافية لأن تدفع المسلم ليسارع إلى قراءة القرآن، ويكثر الاشتغال به وصحبته.

وأهداف قراءة القرآن العلم، والثواب، والمناجاة، والشفاء، والعمل.

فمتى قرأ المسلم القرآن مستحضرا المقاصد الخمسة معا كان انتفاعه بالقرآن أعظم، وأجره أكبر، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى" [١٩].

قال ابن تيمية: " مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِبًا لِلْهُدَى مِنْهُ؛ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ " [١٠].

الهدف الأول: قراءة القرآن لأجل العلم

هذا هو المقصد المهم، والمقصود الأعظم من إنزال القرآن، والأمر بقراءته، بل ومن ترتيب الثواب على القراءة، قال الله عزوجل: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} [ص: ٢٩]، {أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ} [المؤمنون: ٦٨].

قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: " مَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَلْيَقْرَأِ الْقُرْآنَ فَإِنَّ فِيهِ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ" - (١١١)

وقال عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-: " لَقَدْ عَشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرِنَا وَإِنْ أَحَدْتْنَا يُوتَى الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ، وَتَنْزِلُ السُّورَةُ عَلَى مُحَمَّدٍ -صلى الله عليه وسلم- فَيَتَعَلَّمُ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُوقَفَ عِنْدَهُ فِيهَا كَمَا تَعْلَمُونَ أَنْتُمْ الْقُرْآنَ، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رِجَالًا يُوتَى أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ مَا يَدْرِي مَا أَمْرُهُ وَلَا زَجْرُهُ، وَلَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يُوقَفَ عِنْدَهُ مِنْهُ يَنْثُرُهُ نَثْرَ الدَّقْلِ" اهـ - (١١٢)

الهدف الثاني: قراءة القرآن بقصد العمل به

عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَخْبِرِينِي بِخُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-، قَالَتْ: " كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ، قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} (١١٣)

قال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: " يا حملة القرآن أو يا حملة العلم؛ اعملوا به فإنما العالم من عمل بما علم، ووافق علمه عمله وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم يخالف عملهم علمهم وتخالف سريرتهم علانيتهم يجلسون حلقاً يباهي بعضهم بعضاً حتى إن الرجل ليغضب على جلسه أن يجلس إلى غيره ويدعه أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله تعالى "اهـ (١٤١)

قال الحسن البصري: نزل القرآن ليُنَدَّبَرَ وَيُعْمَلَ بِهِ. فَاتَّخِذُوا تِلَاوَتَهُ عَمَلًا (١٥١)

الهدف الثالث: قراءة القرآن بقصد مناجاة الله

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه سمع النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: " ما أذن الله لشيءٍ ما أذن لشيءٍ حسن الصوت بالقرآن يجهرُ به (١٦١) ومعنى أذن: أي استمع.

عن البيهقي، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خرج على الناس وهم يصلون وقد علت أصواتهم بالقراءة، فقال: " إن المصلي يناجي ربه عز وجل، فلينظر ما يناجيه، ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن (١٧١)

عن حذيفة، قال: صلّيت مع النبي -صلى الله عليه وسلم- ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المئة، ثم مضى، فقلت: يصلّي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء، فقرأها، ثم

أَفْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَفَرَّأَهَا، يَقْرَأُ مُتْرَسَلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ
بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ (١١٨)

قال ابن القيم: " إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه وألق سمعك واحضر
حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه فإنه خاطب منه لك على لسان رسوله -صلى الله
عليه وسلم- " (١١٩)

الهدف الرابع: قراءة القرآن بقصد الثواب

ورد في ترتيب الثواب على قراءة القرآن نصوص كثيرة اذكر طرفاً منها للتذكير بهذا الأمر المهم:

فعن ابن مسعود-رضى الله عنه- قال قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: " مَنْ قَرَأَ حَرْفًا
مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الْم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلاَمٌ
حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ " (١٢٠)

وعن جابر بن عبد الله -رضى الله عنهما- قال: " كَانَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- يَجْمَعُ بَيْنَ
الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أَحَدٍ فِي تَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ: ((أَيُّهُمُ أَكْثَرُ أَخَذًا لِلْقُرْآنِ))، فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى
أَحَدِهِمَا قَدَّمَ فِي اللَّحْدِ " (١٢١)

وعن عائشة قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق، له أجران «(١٢٢)»

وعن عثمان -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: " خيركم من تعلم القرآن وعلمه " «(١٢٣)»

وعن أبي أمامة -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: " اقرأوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه " «(١٢٤)»

الهدف الخامس: قراءة القرآن بقصد الاستشفاء به

قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ } [يونس: ٥٧]، وقال تعالى { وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا } [الإسراء: ٨٢]، وقال الله تعالى: { قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ } [فصلت: ٤٤].

فالقرآن شفاء للقلوب من أمراض الشبهات والشهوات، وشفاء للأبدان من الأسقام، فمتى استحضر العبد هذا المقصد فإنه يحصل له الشفاء: الشفاء العلمي المعنوي، والشفاء المادي البدني بإذن الله تعالى، والشفاء بالقرآن يحصل بأمرين: الأول: القيام به، وخاصة في جوف الليل الآخر، مع

استحضار نية الشفاء، والثاني: الرقية به

المفتاح الثالث: القيام بالقرآن

إن هذا المفتاح من أهم مفاتيح تدبر القرآن، وأعظمها شأنًا، وقد ورد عدد من النصوص تؤكد أهميته، من ذلك قول الله تعالى: {لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ} [آل عمران: ١١٣]، وقول الله تعالى: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ} [الزمر: ٩]، وقال -صلى الله عليه وسلم-: " لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ

مَالًا فَسَلَّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيَعْلَمُهَا " (١٢٥)

ولذلك فلا تعجب من الفضل الذي رتب على هذا العمل، فعن عبد الله بن عمرو عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- أنه قال: " مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يَكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ

كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَرَأَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقْتَدِرِينَ " (١٢٦)

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: {أُحِبُّ أَحَدَكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يَجِدَ فِيهِ ثَلَاثَ خَلَفَاتٍ عِظَامِ سِمَانَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: فَثَلَاثُ آيَاتٍ يَقْرَأُ بِهِنَّ أَحَدَكُمْ

فِي صَلَاتِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثِ خَلَفَاتٍ عِظَامِ سِمَانَ. (١٢٧)

المفتاح الرابع: التكرار الأسبوعي للقرآن أو بعضه

أنزل القرآن ليعمل به، ووسيلة العمل به العلم به أولاً، وهو يحصل بقراءته وتدبره، وكلما تقاربت أوقات القراءة، وكلما كثر التكرار كان أقوى في رسوخ معاني القرآن الكريم، ومن أجل ذلك كان السلف يواظبون على قراءة القرآن، ويحرصون على كثرة تلاوته وتكرارها.

عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ" (٢٨١)

وقال عقبة بن عامر الجهني -رضي الله عنه-: " مَا تَرَكْتُ حِزْبَ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ مِنْ لَيْلَتِهَا مُنْذُ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ " (٢٩١)

وعن ابن الهاد، قال سألتني نافع بن جبير بن مطعم، فقال لي: في كم تقرأ القرآن؟ فقلت: ما أحزبته، فقال لي نافع: لا تقل: ما أحزبته، فإن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "قَرَأْتُ جُزْءًا مِنَ الْقُرْآنِ" (٢٠١)

فهذه النصوص وغيرها مما نقل عن السلف في هذه القضية المهمة تؤكد على ضرورة تحزيب القرآن والمحافظة على ما يتم تحزيبه، وأن يكون له الأولوية الأولى في كل وقت.

المفتاح الخامس: أن تكون القراءة حفظاً

مثل حافظ القرآن وغير الحافظ؛ مثل اثنين في سفر، الأول: زاده التمر، والثاني: زاده الدقيق، فالأول: يأكل متى شاء وهو على راحلته، والثاني: لا بد له من نزول، وعجن، وإيقاد نار، وخبز، وانتظار نضج.

والعلم مثل الدواء لا يؤثر حتى يدخل الجوف، ويختلط بالدم، وما لم يكن كذلك فإن أثره

مؤقت، ومثل الجهاز المزود ببطارية والجهاز الذي ليس كذلك، الأول يمكن أن يشتغل في أي مكان أما الثاني فلا بد من مصدر كهرباء.

عن ابن عباس **رضي الله عنهما** - : قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم** - : " **إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ**

شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ" (١٢١)

وقال ابن تيمية: " **أنا جنتي وبستاني في صدري أنني رُحْتُ فهي معي**" (١٢٢)

وهو يريد بذلك القرآن والسنة التي في صدره تثبته وتزيده يقينا.

وقال سهل بن عبدالله: لأحد طلابه: أتحفظ القرآن؟ قال: لا؟ قال: واغوثاه لمؤمن لا يحفظ القرآن!

فبم يترنم؟ فبم يتنعم؟ فبم يناجي ربه؟ (١٢٣)

المفتاح السادس: تكرار الآيات

إن الهدف من التكرار هو التوقف لاستحضار المعاني، وكلما كثر التكرار كلما زادت المعاني التي تفهم من النص، والتكرار - أيضا - قد يحصل لا إراديا تعظيما أو إعجابا بما قرأ، وهذا مشاهد في واقع الناس حينما يعجب أحدهم بجملة أو قصة فإنه يكثر من تكرارها على نفسه أو غيره، التكرار: نتيجة وثمره للفهم والتدبر، وهو أيضا وسيلة إليه حينما لا يوجد

قال أبو ذر -رضي الله عنه-: "قام النبي -صلى الله عليه وسلم- بآيةٍ حتى أصبح يرددها {إن تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [المائدة: ١١٨]" [٢٤]

قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: " لَأَتَنْثَرُوهُ نَثَرَ الدَّقَلِ وَلَا تَهْذُوهُ هَذَا الشَّعْرُ، قَفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، وَلَا يَكُنْ هُمْ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ" [٢٥]

وعن عباد بن حمزة قال: " دَخَلْتُ عَلَى أَسْمَاءَ وَهِيَ تَقْرَأُ: {فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ

السَّمُومِ} قَالَ: فَوَقَفْتُ عَلَيْهَا، فَجَعَلَتْ تَسْتَعِيدُ وَتَدْعُو. قَالَ عَبَّادُ: فَذَهَبْتُ إِلَى السُّوقِ، فَقَضَيْتُ حَاجَتِي، ثُمَّ رَجَعْتُ، وَهِيَ فِيهَا بَعْدُ تَسْتَعِيدُ وَتَدْعُو " [٢٦]

وَرَدَّدَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ - لَيْلَةً {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا} [النحل: ١٨] حَتَّى أَصْبَحَ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنَّ فِيهَا مُعْتَبَرًا، مَا نَرْفَعُ طَرْفًا وَلَا نَرُدُّهُ إِلَّا وَقَعَ عَلَى نِعْمَةٍ، وَمَا لَا نَعْلَمُهُ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ أَكْثَرَ" [٢٧]

قال ابن القيم: هذه عادة السلف يردد أحدهم الآية إلى الصبح " (١٢٨) ،

وقال ابن قدامة: " وليعلم أن ما يقرأه ليس كلام بشر وأن يستحضر عظمة المتكلم سبحانه ويتدبر كلامه فإن التدبر هو المقصود من القراءة وإن لم يحصل التدبر إلا بتريده الآية فليردها" (١٢٩).

المفتاح التاسع: الترتيل

قال الحسن البصري: يا ابن آدم كيف يرق قلبك وإنما همتك آخر السورة " (١٤٠)

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقَالَ: قَرَأْتُ الْمُفْصَلَ اللَّيْلَةَ فِي رَكْعَةٍ، فَقَالَ: "هَذَا كَهَذَا الشُّعْرُ، لَقَدْ عَرَفْتُ النَّظَائِرَ الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرُنُ بَيْنَهُنَّ، فَذَكَرَ عِشْرِينَ سُورَةً مِنَ الْمُفْصَلِ، سُورَتَيْنِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ" (١٤١)

قال القاضي: أفلُ التَّرتِيلِ تَرْكُ العَجَلَةِ فِي القُرْآنِ عَنِ البَيَانَةِ وَأَكْمَلُهُ أَنْ يُرْتَلَ القُرْآنُ وَتَوَقَّفَ فِيهَا. (١٤٢)

وصفة قراءة القرآن التي نقلت إلينا عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وصحابته -رضى الله عنهم- تدل على أهمية الترتيل وتزيين الصوت بالقراءة

ثمرات تدبر القرآن الكريم

الثمرة الأولى: التدبر الصحيح يهدي إلى الإيمان ويزيده:

أ - قال تعالى: {وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} [التوبة: ١٢٤]

ب - وقوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) [الأنفال: ٢].

الثمرة الثانية: التدبر يبعث على الخشية والخوف والرجاء والدمع:

قال تعالى: {اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا تَفْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} [الزمر: ٢٣].

قال ابن كثير: هَذِهِ صِفَةُ الْأَبْرَارِ عِنْدَ سَمَاعِ كَلَامِ الْجَبَّارِ الْمُهَيِّمِ الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ لِمَا يَفْهَمُونَ مِنْهُ مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ وَالتَّخْوِيفِ وَالتَّهْدِيدِ تَفْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودُهُمْ مِنَ الْخَشْيَةِ وَالْخَوْفِ " ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ " لِمَا يَرْجُونَ وَيُؤْمَلُونَ مِنْ رَحْمَتِهِ وَأُطْفِئَهُ [٤٣]

الثمرة الثالثة: التدبر يورث العمل:

إن لتدبر القرآن شأنًا عظيمًا، فهو مادة حياة القلب، وانسراح الصدر، وتجدد الإيمان؛ قال تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا} [الإسراء: ٩]

أخي المسلم: إن البعض منا يريد أن يتدبر القرآن، ويتأثر به، وهو لم يهيئ الأسباب والوسائل

المساعدة على فهمه وفقهه، حتى أدنى درجات التركيز والهدوء لا يوجد لها حين قراءته للقرآن،

لماذا؟ لأنه قصر همته على نطق الألفاظ، وما يحصل من حسنات مقابل ذلك.

إن من يواظب على قراءة القرآن كما تم بيانه ووصفه من حال السلف فإن هذا سيؤدي إلى حياة

قلبه، وقوة ذاكرته، وصحة نفسه، وعلو همته، وقوة إرادته، وهذه هي مرتكزات النجاح الحقيقية،

ذلكم النجاح الشامل المتكامل الثابت في حال الشدة كما هو حاصل في حال الرخاء.

والحمد لله رب العالمين

[١] مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر (ص: ١٨٥)

[٢] مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر (ص: ١٨٥)

[٣] مفاتيح تدبر القرآن (ص: ٨ - ١٣) باختصار.

[٤] مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر (ص: ٢٠٤)

[٥] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٤٥٠)

[٦] باختصار وتصرف يسير من مفاتيح تدبر القرآن د. خالد بن عبد الكريم اللاحم

[٧] مسند ابن الجعد (١٩٥٦)

[٨] أخرجه أحمد (٣٧١٢)، وابن حبان (٩٧٢)، وصحح إسناده الألباني في الصحيحة (١٩٩).

[٩] صحيح البخاري (١)، صحيح مسلم (١٩٠٧).

[١٠] العقيدة الواسطية ١٠٣

[١١] مصنف ابن أبي شيبة (٨١٤).

[١٢] المستدرک للحاکم (١٠١) وقال: حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَا أَعْرِفُ لَهُ عِلَّةً وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

[١٣] صحيح مسلم: (٧٤٦).

[١٤] مفتاح دار السعادة: ٥١/١

[١٥] مدارج السالكين: ١-٤٥١، تلبیس إبلیس ص ١٠٩

[١٦] صحيح البخاري (٧١٠٥)، صحيح مسلم (٧٩٢).

[١٧] أحمد: ٣٤٤/٤، وصححه أحمد شاكر

[١٨] صحيح مسلم (٧٧٢).

[١٩] الفوائد: ١

[٢٠] رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

[٢١] صحيح البخاري (١٣٤٣).

[٢٢] صحيح البخاري (٤٦٥٣)، وصحيح مسلم (٧٩٨)

[٢٣] صحيح البخاري (٤٧٣٩)

[٢٤] صحيح مسلم (٨٠٤)

[٢٥] صحيح البخاري (٧٣)، صحيح مسلم (٨١٥)

[٢٦] أخرجه أبو داود (١٣٩٨)، وصححه الألباني في الصحيحة (٦٤٢).

[٢٧] صحيح مسلم (٨٠٢).

[٢٨] صحيح مسلم (٧٤٧)

[٢٩] فضائل القرآن لأبي عبيد ٩٥

[٣٠] سنن أبي داود (١٣٩٢)

[٣١] سنن الترمذي (٢٩١٣) وقال: حسن صحيح، والحاكم (٢٠٣٧) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

[٣٢] شرح العقيدة الأصفهانية (ص: ١٧).

[٣٣] سير أعلام النبلاء ٥٢١/١٥

[٣٤] أخرجه ابن ماجه (١٣٨٩) والنسائي ١/١٧٧، و الحاكم ١/٢٤١ وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في سنن النسائي.

[٣٥] أخلاق حملة القرآن (١٩) شعب الإيمان للبيهقي ١/٣٤٤.

[٣٦] مصنف ابن أبي شيبة (٦٠٣٧)

[٣٧] مختصر قيام الليل للمروزي ١٥١

[٣٨] مفتاح دار السعادة ١-٢٢٢

[٣٩] مختصر منهاج القاصدين: ٦٨

[٤٠] مختصر قيام الليل للمروزي: ١٥٠

[٤١] البخاري (٧٤٢)، صحيح مسلم (٨٢٢)

[٤٢] الآداب الشرعية ٢/٢٩٧

[٤٣] تفسير ابن كثير (١٢/١٢٤)